

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

النوع الثاني والعشرون .

معرفة خصائص اللغة .

من ذلك : أنها أفضل اللغات وأوسعها قال ابنُ فارس في فقه اللغة : لغةُ العرب أفضلُ اللغات وأوسعها قال تعالى : (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) فوصفه - سبحانه - بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان .

وقال تعالى : (خلق الإنسان علمه البيان) فقدم - سبحانه - ذكرَ البيان على جميع ما توعد بخلافه وتفرّد بإنشائهم شمسٍ وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المكوّنة والنشأيا المتقنة فلما خصّ - سبحانه - اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه .

فإن قال قائلُ : فقد يقع البيانُ بغير اللسان العربي لأن كلَّ من أفهمَ بكلامه على شرط لغته فقد بيّن .

قيل له : إن كنتَ تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يُعرب عن نفسه حتى يفهم السامعُ مراده فهذا أخسُّ مراتب البيان لأن الأبكم قد يدلُّ بإشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لا يُسمى متكلماً فضلاً عن أن يُسمى بديناً أو بليغاً وإن أردت أن سائر اللغات تُبين إبانة اللغة العربية فهذا غلطاً لو احتجنا إلى أن نُعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء والمُسَمَّيات بالأسماء المترادفة . فأين هذا من ذاك وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العربية هذا ما لا خفاء به على ذي نُهيّة .

وقد قال بعض علمائنا - حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلاّب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال : وكذلك لا يقدرُ أحدٌ من التّراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة كما نُقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب اللّه عزّ وجلّ بالعربية لأنّ غير العرب لم تتسع في المجاز اتساع العربياً لا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله